

على مائدة القرآن الكريم

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

القاهرة

١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م

مقدمة



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم
أنبيائه ورسله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وعلى آله
وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين .

" الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ
لَهُ عِوَجًا قِيمًا يُنذِرَ بِأَسَا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ
الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَّا كَثِيرًا فِيهِ
أَبْدًا " (الكهف : ١-٣) ، القائل سبحانه في محكم التنزيل :
" إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ
الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وَأَنَّ الَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا " (الإسراء ٩ - ١٠) ،
والقائل (عز وجل) : " وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ
بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ " (فصلت :
٤٢) ، والقائل (عز وجل) : " فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ

لَقَسِمُ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ " (الواقعة : ٧٥ - ٧٨) .

فالقرآن الكريم كتاب نور ، وكتاب هداية ، وكتاب رحمة ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تُضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ " (المستدرک للحاکم).

وهو أعلى درجات البلاغة والفصاحة والبيان ، يتدفق الإعجاز من جميع جوانبه تدفقاً لا شاطئ له ، فهو الذي يهجم عليك الحسن منه دفعة واحدة ، فلا تدري أجاك الحسن من جهة لفظه أم من جهة معناه ، إذ لا تكاد الألفاظ تصل إلى الآذان حتى تكون المعاني قد وصلت إلى القلوب.

وهو أحسن القصص ، حيث يقول الحق سبحانه مخاطباً نبيه (صلى الله عليه وسلم) : " نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ



أَحْسَنَ الْقَصَصِ " (يوسف: ٣) ، وهو أحسن الحديث ، حيث يقول الحق سبحانه: " اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ " (الزمر: ٢٣).

هذا وقد رفع الله (عز وجل) أهل القرآن إلى أعلى المراتب ، فهم أهل الله وخاصته ، وتجارتهم لا تبور ولن تبور، حيث يقول الحق سبحانه : " إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَاجِلِيَّةً يُرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ " (فاطر: ٢٩-٣٠) .

وفي هذا الكتاب نحاول أن نقف على بعض وجوه بلاغة وعظمة كتاب الله (عز وجل) ، ودلالات أسماء بعض سوره ، وذكر بعض الأحاديث وبعض أقوال أهل العلم والذكر والبلاغة في فضائله وفضائل أهله وحفظته ، مع

جانب من حديث القرآن الكريم عن سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، سائلين الله (عز وجل) أن يجعلنا من أهل القرآن ، وأن يجعله حجة لنا لا علينا ، وأن يعلمنا منه ما جهلنا، وأن يذكرنا منه ما نسينا ، وأن يجعله شفيحاً يوم الزحام، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ،،،

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف - عضو مجمع البحوث الإسلامية
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية



سور القرآن الكريم : أسماء ودلالات

لاشك أن القرآن الكريم إنما هو كلام رب العالمين ، معجز كله ، وفي جميع جوانبه ، كل شيء فيه بحكمة ولحكمة ، فهو كما قال الحق سبحانه : " وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ " .

وفي هذا المبحث نحاول أن نلقي الضوء على دلالات أسماء بعض السور وما تحمله من معان وإشارات في ألفاظه ، في تراكيبه ، في أساليبه ، في معانيه ، في أسماء سورته .
فمنها ما يرتبط بالزمن ، تأكيداً على أهميته وبياناً لقيمته ، حيث سمى القرآن الكريم ست سور بأسماء تحمل دلالات

زمنية ، هي سورة الجمعة ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " ، بما تحمله هذه الآيات من ضرورة التوازن بين عمل الدنيا وعمل الآخرة ، وكان سيدنا عراك بن مالك (رضي الله عنه) إذا صلى الجمعة انطلق فوقف على باب المسجد ، ثم قال : اللهم إني قد أحببت دعوتك ، وأديت فريضتك ، وانتشرت كما أمرتني ، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين .

وسورة الفجر التي يقول الحق سبحانه وتعالى في مفتحتها : " وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ " ، فمع أن القسم



استهل بوقت الفجر الذي سميت السورة باسمه فإنه قد
تضمن وحدات زمنية أخرى : " وَلَيَالٍ عَشْرٍ " ، " وَاللَّيْلِ إِذَا
يَسَّرَ " ، ثم يختتم القسم بقوله تعالى : " هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ
لِّذِي حِجْرٍ " أي لذي عقل أو لب يدرك معنى هذا القسم ،
ثم أتبع القسم بما يدعو إلى التأمل العميق في أحوال من
مضى من الأمم السابقة من عاد وثمود وفرعون ، فقال
سبحانه : " أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ *
الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ
بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ *
فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ " .

ويأتي بعد سورة الفجر من حيث ترتيب سور القرآن
الكريم من السور التي سميت بأسماء ذات دلالات زمنية ،
سورة الليل التي استهلته بقوله تعالى : " وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى *

وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ
لَشَتَّى * فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنِيَرُهُ
لِلْيُسْرَى " ، ثم تأتي بعدها سورة الضحى ، مستهله بقوله
تعالى: " وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا
قَلَى " ، ثم سورة القدر ، حيث يقول سبحانه وتعالى : " إِنَّا
أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ
خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ
مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ " ، ثم سورة
العصر، حيث يقول الحق سبحانه : " وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ
لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا
بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ " .

ولا شك أن تسميته ست سور من سور القرآن الكريم
بأسماء أوقات أزمنة : الجمعة ، والفجر ، والليل ، والضحى ،



والقدر ، والعصر ، لهو دليل على أهمية الزمن ، ولغت واضح للنظر على ضرورة استغلاله الاستغلال النافع والأمثل ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "نِعْمَتَانِ مَعْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ" ، وحيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : " لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ : عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ ؟ " .

وإذا تحدثنا عن السور التي سميت بأسماء ذات دلالات زمنية فمن المنطق أن نتبع بالسور التي سميت بأسماء ذات دلالات مكانية مما هو معروف في دنيا الناس متصل بحياتهم، وهي على الترتيب : الحجر ، والكهف ، والأحقاف، والحجرات ، والطور ، والبلد ، ولكل دلالتها ، غير أن أول ما يلفت النظر هو هذا التكافؤ الزماني المكاني ، حيث إن

السور التي سميت بأسماء ذات دلالات زمانية ست سور وفي جوارها ست سور أخرى مسماة بأسماء ذات دلالات مكانية، للتأكيد على أهمية المكان وأهمية الجغرافيا ، وهو ما جعل العلماء والفقهاء يؤكدون على أهمية مراعاة طبيعة وخصوصية الزمان والمكان ، فقرروا أن الفتوى قد تتغير أو تتطلب تغييراً بتغير الزمان أو المكان ، يراعى خصوصيتهما أو خصوصية أي منها.

ثم إن لكل سورة دلالتها والعبرة المستقاة منها ، وأول هذه السور في ترتيب المصحف سورة الحجر حيث يقول الحق سبحانه : " وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ * وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَأَنُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَكَانُوا يُحِبُّونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا أَمْنِينَ * فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْحِحِينَ * فَمَا أَغْنَى



عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " ، وأصحاب الحجر هم قوم سيدنا صالح (عليه السلام) .

ثم تأتي سورة الكهف وتتناول أموراً عديدة أبرزها قصة أصحاب الكهف ، هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم ، حيث يقول الحق سبحانه: " إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَا هُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا " ، ويقول سبحانه : " وَلَبِئْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا " ، ونلاحظ أن النص القرآني عبر بقوله تعالى: " وَازْدَادُوا تِسْعًا " ، ولم يقل سبحانه وتعالى: ثلاثمائة وتسع سنين ، ففرق كبير بين التعبيرين ، إذ إن النص القرآني يحمل معنى وإشارة لا يمكن أن يحملها تعبير آخر ، ذلك أن كل مائة سنة شمسية تعادل

مائة وثلاث سنوات قمرية ، فهي ثلاثمائة سنة شمسية ، تزداد
تسعاً بالحساب القمري.

ثم تأتي سورة الأحقاف لتذكر بمصير ومآل أصحاب
الأحقاف قوم سيدنا عاد (عليه السلام) ، حيث يقول الحق
سبحانه فيها : "وَأذْكُرُ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ
خَلَّتِ النَّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا عَنْ
آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ
عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ *
فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمَطَّرْنَا
بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ
بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِيهُمُ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ
الْمُجْرِمِينَ " ، إذ في ذلك متعظ لمن كان له أدنى مسحة أو



تدبر في أحوال الأمم التي طغت وتجبرت وظلمت وعتت
عن أمر ربها فأخذها أخذ عزيز مقتدر ، في سنة لا تتخلف
في سوء عقبي الظالمين ، وحسن عقبي المتقين ، أفراداً أو
جماعات أو أمم.

ثم تأتي سورة الحجرات ، حجرات أزواج النبي (صلى
الله عليه وسلم) ، حيث يقول الحق سبحانه : " إِنَّ الَّذِينَ
يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ
صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ " ،
وعندما سمع سيدنا الإمام مالك بن أنس (رضي الله عنه)
رجلاً يرفع صوته في مسجد سيدنا رسول الله (صلى الله عليه
وسلم) قال له: يا هذا : إن الله (عز وجل) امتدح أقواماً
فقال: " إِنَّ الَّذِينَ يَعْزُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ
الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِتَتَّقُوا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ " ،

وذم آخريين فقال : " إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ " ، وقال : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ " ، وإن حرمة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ميتة كحرمة حيا ، فاحفظ نفسك ولسانك في حضرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

ثم تأتي سورة الطور "طور سيناء" ، حيث يقول الحق سبحانه: " وَالطُّورِ * وَكِتَابِ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ * وَالسَّعْفِ الْمَرْفُوعِ * وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ " .

وتأكيداً على قدسية هذا المكان ولفناً للأنظار إليه قدم القسم بالطور على غيره من المقسم به من: الكتاب المسطور،



والبيت المعمور ، والسقف المرفوع ، والبحر المسجور ، وقد
استمد هذا الطور هذه المكانة من تجلي الحق سبحانه
وتعالى عنده لكليمه موسى (عليه السلام) ، حيث يقول
سبحانه : " فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ
نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ
لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ
لِدِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا
تَسْعَى * فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى "
ويقول سبحانه: " فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ
فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ * وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رآهَا تهتت كأنها جَانٌّ وَلَّى
مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ " ،
ويقول لنبينا (صلى الله عليه وسلم): " وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ

إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ
مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ " ، وفي هذا كله ما يؤكد أهمية
هذه البقعة المباركة من أرض سيناء المباركة بما حباها الله
(عز وجل) به من خير وبركة ، وهو ما يستحق منا الاهتمام بها
وبأهلها وبمقدساتها والحفاظ عليها ، ويجعلنا نلتف وبقوة
خلف قواتنا المسلحة الباسلة في الدفاع عنها وعن كل حبة
رمل من تراها الطيب الطاهر العطر ، وألا نسمح للإرهابيين
والمتطرفين من تلويثها بغدرهم وخيانتهم وعمالتهم وزيفهم
وزيفهم وبهتانهم وضلالهم وإضلالهم.

ثم يأتي الختام بسورة البلد ، البلد الأمين ، مكة
المكرمة، بلد الله الحرام الآمن ، حيث يقول الحق سبحانه :
"لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ
* لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ " ، فالبلد مكرم لذاته ، ولبيت



الله المحرم ، ومكّرم لنبيه ، حيث يقول الحق سبحانه
مخاطباً حبيبنا محمداً (صلى الله عليه وسلم) : " وَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ " .

ثم إن هذا القسم بهذا البلد الحرام ينصب على حقيقة
هامّة يجب أن نعيها جيداً ، وهي طبيعة هذه الدنيا التي
بنيت على الكد والنصب والتعب ، حتى قال أحد العارفين :
من طلب الراحة في الدنيا طلب ما لم يخلق ومات ولم
يرزق ، لأن الله (عز وجل) قد قال في كتابه العزيز: " لَقَدْ
خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ " ، فالدنيا دار عمل وتعب ونصب،
والعاقل من أخذ منها ما يتزود به لغده ، وما يجب أن يلقي
الله به، في توازن بين عمارة الكون والتزود للآخرة.

فإذا ما تجاوزنا دلالات الزمان والمكان وجدنا القرآن
الكريم يلفت الأنظار إلى الظواهر الكونية ، من الشمس ،

والقمر ، والنجم ، والرعد ، والتكوير ، والانفطار ، والزلزلة ، والبروج ، والطارق ، والفلق ، في تأكيد واضح على أهمية هذه الظواهر ، ولفنا للأنظار إليها والتأمل فيها ، والإفادة منها، وأخذ العبرة والعظة بما ورد في شأنها ، حيث يقول الحق سبحانه: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ " ، ويقول (عز وجل) : " سَرَّيْهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ " .

وهكذا في سائر الدلالات ما يستحق دراسة علمية أكاديمية متخصصة وافية تجلي أسرار ودلالات هذه السور بما فيها من فيض وإعجاز علمي وبلاغي ، وتعطي الموضوع حقه من البحث والدرس والنظر ، إذ في كل هذا ما يؤكد



أن عطاء القرآن الكريم متجدد في كل زمان ومكان ، لا تنقضي عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، وهذا أحد أسرار حفظه وبقائه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وصدق الحق سبحانه إذ يقول في محكم التنزيل : " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " ، وحيث يقول سبحانه : " فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ " .

حديث القرآن عن محمد (صلى الله عليه وسلم)

تحدث القرآن الكريم عن النبي (صلى الله عليه وسلم) حديثاً كاشفاً عن مكانته وأخلاقه وكثير من جوانب حياته ، فهو نبي الرحمة ، حيث يقول الحق سبحانه : " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ " ، ويقول سبحانه : " فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِيُنذِرَ لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ " ، ويقول (عز وجل): " لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ " .

لقد زكى ربه لسانه ، فقال سبحانه : " وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى " ، وزكى فؤاده ، فقال : " مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى " ، وزكى معلمه ، فقال : " عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى " ، وزكى خلقه ،



فقال : " وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ " ، وشرح صدره ، فقال :
" أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ " ، ورفع ذكره ، فقال : " وَرَفَعْنَا لَكَ
ذِكْرَكَ " ، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فقال سبحانه :
" إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا * لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ " .

وإذا كان موسى (عليه السلام) قد طلب من ربه أن
يشرح له صدره ، حيث قال داعياً ربه (عز وجل) : " رَبِّ
اشْرَحْ لِي صَدْرِي " ، فإن الله (عز وجل) قد منّ على نبينا
محمد (صلى الله عليه وسلم) فشرح له صدره مئة منه وفضلاً ،
فقال سبحانه : " أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ " ، وإذا كان موسى
(عليه السلام) قد توجه إلى رب العزة (عز وجل) بقوله:
" وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى " ، فإن الله (عز وجل) قد أكرم

نبينا (صلى الله عليه وسلم) بقوله تعالى : "وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ" .

فنبينا (صلى الله عليه وسلم) دعوة أبينا إبراهيم (عليه السلام) ، حيث دعا ربه بقوله : " رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " ، وهو بشرى عيسى (عليه السلام) ، حيث يقول الحق سبحانه : " وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ " .

قرن الحق سبحانه وتعالى طاعته (صلى الله عليه وسلم) بطاعته (عز وجل) ، فقال سبحانه : " مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ " ، وجعل حبه (صلى الله عليه وسلم) وسيلة لحب الله (عز وجل) ، فقال سبحانه على لسانه (صلى الله عليه وسلم) .



وسلم) : " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ " ، وجعل بيعته (صلى الله عليه وسلم) بيعة لله (عز وجل) : " فقال سبحانه : " إِنْ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ " ، وحذر سبحانه وتعالى من مخالفة أمره (صلى الله عليه وسلم) فقال (عز وجل) : " فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " ، مؤكداً أن الإيمان به (صلى الله عليه وسلم) لا يكتمل إلا بالنزول على حكمه عن رضى وطيب نفس ، فقال سبحانه : " فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا " .

وقد أكرمه ربه حتى في مخاطبته وندائه ، فحيث نادى رب العزة (عز وجل) سائر الأنبياء بأسمائهم : " يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ " ، " يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ " ، " يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا " ، " يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ

اسْمُهُ يَحْيَى " ، " يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ " ، خاطب نبينا (صلى الله عليه وسلم) خطاباً مقروناً بشرف الرسالة أو النبوة، أو صفة إكرام وتفضل وملاطفة ، فقال تعالى: " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ " ، " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا " ، " يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ * قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا " ، " يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ " .

وعندما شَرَّفَهُ الحق (سبحانه وتعالى) بذكر اسمه في القرآن الكريم ذكره مقروناً بعز الرسالة ، فقال سبحانه وتعالى: " مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ " ، وقال سبحانه وتعالى : " وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ " ، وأخذ العهد على الأنبياء والرسل ليؤمنن به ولينصرنه ، فقال سبحانه : " وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ



عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفَرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ " .

ومن إكرام الله (عز وجل) له (صلى الله عليه وسلم) أن جعل رسالته للناس عامة ، حيث كان كل رسول يرسل إلى قومه خاصة ، أما حبيبنا محمد (صلى الله عليه وسلم) فقد أرسله ربه (عز وجل) إلى الناس عامة ، فقال سبحانه : " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا " ، وختم برسالته الرسالات ، وختم به (صلى الله عليه وسلم) الأنبياء والرسل ، فقال سبحانه وتعالى : " مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ " .

صلى ربه (عز وجل) بنفسه عليه ، وأمر ملائكته والمؤمنين بالصلاة عليه ، فقال سبحانه : " إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا " ، وجعل صلاته على المؤمنين رحمة وسكينة لهم ، فقال سبحانه :

"وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ".

فأكثرُوا من الصلاة والسلام على الحبيب (صلى الله عليه وسلم) ، لأن من صلى على النبي (صلى الله عليه وسلم) صلاة صلى الله بها عليه عشرًا ، كما أن صلاتنا معروضة عليه (صلى الله عليه وسلم) حيث يقول : " إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وَفِيهِ قُبُضَ ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ ، فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ ، فَإِنَّ صَلَاتِكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ " ، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ - يَقُولُونَ: بَلِيَّتَ -؟ فَقَالَ: " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ " ، وكان (صلى الله عليه وسلم) يقول : " إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ



مَنْ عِبَادَ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ
حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ " .

أهل القرآن

أهل القرآن هم أهل الله وخاصته ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): " إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ " قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ هُمْ ؟ قَالَ : " هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ " .

والقرآن هو كلام الله تعالى المنزل على رسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) ، المتعبد بتلاوته ، المتحدى بأقصر سورة منه ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، لا يشبع منه العلماء ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، يقول الحق سبحانه : " إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا " ، ويقول سبحانه : " اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَقَشَّرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ



جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هَدَىٰ اللَّهُ يَهْدِي بِهِ
مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ .

وهو كتاب هداية ، حيث يقول الحق سبحانه : " الم *
ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ " ، وهو كتاب رحمة
وشفاء ، حيث يقول سبحانه : " وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ
وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا " ، وهو نور
يهدي به الله من يشاء من عباده ، حيث يقول الحق (عز
وجل) : " وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ " ، لم تلبث
الجن إذ سمعته أن قالوا " إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى
الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا " .

وعندما سمع (الأصمعي) امرأة بليغة فصيحة فأعجب
ببلاغتها وفصاحتها ، فقال لها : ما أفصحك وما أبلغك ،
فأجابته : أي فصاحة ، وأي بلاغة إلى جانب فصاحة وبلاغة

كتاب الله (عز وجل) ، لقد جمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين ، وذلك حيث يقول الحق سبحانه: "وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَاهُ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ " .

أما إكرام الإسلام لأهل القرآن فحدث عنه ولا حرج ، فهذا نبينا (صلى الله عليه وسلم) يضرب أعظم المثل مع أهل القرآن ، فقد قال يوماً لسيدنا أبي بن كعب: " أُمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ " ، فَقُلْتُ: أَسْمَانِي لَكَ رَبِّي أَوْ رَبُّكَ ؟ قَالَ: «نَعَمْ» ، فَتَلَا: " قُلْ يَفْضَلِ اللَّهُ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ " ، وفي رواية : " قال أبي يا رسول الله، وَذُكِرْتُ هُنَاكَ؟ ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : "نَعَمْ بِاسْمِكَ وَنَسَبِكَ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى " قَالَ: فَأَقْرَأْ إِذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ " .



ولما سعد سيدنا عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) يوماً
نخلة في حضرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وحضرة
أصحابه ، وكان نحيل الجسد شديد النحول ، فضحك بعض
الحاضرين من شدة نحول ساقه ، فقال نبينا (صلى الله عليه
وسلم) : " مِمَّ تَضْحَكُونَ ؟ " قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، مِنْ دِقَّةِ سَاقِيهِ ،
فَقَالَ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ " ،
وكان (صلى الله عليه وسلم) يقول : " مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ
غَضًّا كَمَا أُنزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ " ، وقال له نبينا
(صلى الله عليه وسلم) يوماً : " اِقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ " قُلْتُ : أَقْرَأُ
عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزِلَ ! ، قَالَ : " إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ
غَيْرِي " ، فتلا عليه ابن مسعود (رضي الله عنه) من سورة
النساء حتى انتهى إلى قوله تعالى : " فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ
كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا * يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا
يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا "

وكان سيدنا سالم مولى أبي حذيفة (رضي الله عنهما)
من أهل القرآن الذين قال نبينا (صلى الله عليه وسلم) فيهم:
" خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ : مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَسَالِمٍ ،
وَمُعَاذٍ ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ ، أَيُّ : تَعَلَّمُوا مِنْهُمْ " ، وكان سالم
(رضي الله عنه) يقول: يا أهل القرآن ، زينوا القرآن
بأعمالكم، ولما حضرت سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله
عنه) الوفاة ، قيل له : استخلف ، فقال : لو كان سالم مولى
أبي حذيفة حيًّا لاستخلفته ، فإن سألتني عنه ربي قلت : إني
سمعت نبيك (صلى الله عليه وسلم) يقول : إنه يحب الله
حقًا من قلبه .



ومن إكرام الله (عز وجل) لأهل القرآن أن جعله شفيماً لأصحابه يوم القيامة ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام: أي ربِّ، مَنَعْتَهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ ، فَشَفَّعْنِي فِيهِ ، ويقول القرآن: مَنَعْتَهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفَّعْنِي فِيهِ"، قَالَ: " فَيُشَفَّعَانِ " ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): " مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ، وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ أَلْبَسَ وَالِدُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَاجًا ضَوْؤُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بُيُوتِ الدُّنْيَا وَكَانَتْ فِيهِ ، فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ بِهِ " .

على أن القرآن الكريم إما أن يكون حجة لنا أو حجة علينا ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ " ، فالقرآن حجة لمن أعطاه حقه تلاوةً وتدبراً وعملاً بأوامره ونواهيه والتزاماً بأخلاقه ، وحجة على من

ضيعه هجرًا له أو هجرًا لأخلاقه وأوامره ونواهيه ، إذ يحتم
علينا الوفاء بواجبنا تجاه هذا الكتاب إعطاءه حقه تعلمًا
وتعليمًا وفهمًا ، وتأملًا وتدبرًا وعملاً.

ثلاثون حديثًا مختارة في فضائل القرآن الكريم



١- عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: " لَا حَسَدَ إِلَّا عَلَى اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْكِتَابَ ، وَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ ، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالًا ، فَهُوَ يَتَصَدَّقُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ " (متفق عليه).

٢- وَعَنْ أَبِي مُوسَى (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: « تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقْلِهَا » (صحيح مسلم).

٣- وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: " مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَالْأُتْرُجَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَرِيحُهَا طَيِّبٌ ، وَالَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَالْتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَمَثَلِ الرِّيحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ: كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ ، وَلَا رِيحَ لَهَا " (متفق عليه).

٤- وَعَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ، إِذْ جَالَتِ الْفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتِ الْفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الْفَرَسُ فَأَنْصَرَفَ، وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى مَا يَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَأَنْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظِّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ، فَخَرَجْتُ حَتَّى لَا أَرَاهَا، قَالَ: «وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟»، قَالَ: لَا، قَالَ: «تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ» (متفق عليه). ٥- وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ لِأَبِي بَنْ كَعْبٍ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ» قَالَ أَبِي: اللَّهُ سَمَانِي



لَكَ؟ قَالَ: « اللَّهُ سَمَّاكَ لِي » قَالَ: فَجَعَلَ أَبِي يُبْكِي « (متفق عليه).

٦- وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أَحَدٍ فِي تَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: « أَيُّهُمَ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ، فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ، وَقَالَ: « أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُعْسَلُوا، وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِمْ. (صحيح البخاري).

٧- وَعَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: « مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ، وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ » (صحيح البخاري).

٨- وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): « اقْرَأْ عَلَيَّ »، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ، قَالَ: « نَعَمْ » قَالَ: فَقَرَأْتُ

سُورَةَ النَّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: " فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ، وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا " [النساء: ٤١] قَالَ: «حَسْبُكَ الْآنَ» فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذَرِفَانِ " (صحيح البخاري). وفي رواية: " أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ ، قَالَ : «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي».

٩- وَعَنْ عُمَانَ بْنِ عَفَانَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» (صحيح البخاري).

١٠- وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا ، وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ» (رواه مسلم).

١١- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً



مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،
وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ
العَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ
فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ
فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَذَكَّرُونَ فِيهِمْ،
إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ،
وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ
نَسَبُهُ» (صحيح مسلم).

١٢- وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) قَالَ:
خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَنَحْنُ فِي
الصُّفَّةِ، فَقَالَ: «أَيْكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ إِلَى بَطْحَانَ - أَوِ الْعَقِيقِ -
فِيأُخَذَ نَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ زَهْرَاوَيْنِ يَغِيرُ إِيَّكُمْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،
وَلَا قَطْعَ رَحِمٍ؟» قَالُوا: كُلُّنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَلَا نَغْدُو
أَحَدَكُمْ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَيَتَعَلَّمُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ

وَجَلَّ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَإِنْ ثَلَاثُ فَثَلَاثُ مِثْلُ أَعْدَادِهِنَّ
مِنَ الْإِبِلِ» (صحيح مسلم).

١٣- وَعَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ
الْبُرَّةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ
أَجْرَانِ» (صحيح مسلم).

١٤- وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ:
اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنَزِلَكَ
عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا" (رواه أبو داود والترمذي).

١٥- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: " يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا
رَبِّ حَلِّهِ، فَيَلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيَلْبَسُ
حُلَّةَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فَيَرْضَى عَنْهُ، فَيُقَالُ
لَهُ: اقْرَأْ وَارْقُ، وَيُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً" (سنن الترمذي).



١٦- وعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) يقول:
قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): « من قرأ حرفاً من
كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم
حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » (رواه
الترمذي).

١٧- وعن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) قال:
قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): « إن من إجلال الله
إكرام ذي الشببة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه
والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط » (سنن أبي
داود).

١٨- وعن سهل بن معاذ الجهني، عن أبيه، أن رسول
الله (صلى الله عليه وسلم) قال: « من قرأ القرآن وعمل بما
فيه أليس والداه تاجاً يوم القيامة صوؤه أحسن من ضوء
الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي
عمل بهذا » (سنن أبي داود).

١٩- وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ» (سنن ابن ماجه).

٢٠- وَعَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «إِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ ، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟، فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ، فَيَقُولُ لَهُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ ، الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي نَهَارِكَ ، وَأَسَهَرْتُ لَيْلِكَ ، وَإِنْ كُلُّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ، قَالَ: فَيُعْطَى الْمَلِكَ بِيَمِينِهِ ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا تَقُومُ لَهُمَا الدُّنْيَا، فَيَقُولَانِ: بِمِ كُسِينَا هَذِهِ؟ ، فَيَقَالُ لَهُمَا: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغَرَفِهَا ، وَرَثْلُ كَمَا



كُنْتَ تُرْتَلُّ فِي الدُّنْيَا ، فَإِنَّ مَزَلَّتْكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ مَعَكَ «
(سنن الدارمي ، الجامع الصحيح للسنن والمسانيد).

٢١- وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: بَيْنَمَا
جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) سَمِعَ نَقِيضًا
مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: " هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ
لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ
إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزَلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلِّمْ، وَقَالَ: أَبَشِرْ بُرَيْنَ
أُوتِيَتْهُمَا لَمْ يُؤْتِيَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ
الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ " (صحيح مسلم).

٢٢- وَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ
النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: « يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ،
وَأَلُ عِمْرَانَ »، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)
ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيْتُهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: « كَانَتْهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظِلَّتَانِ

سُودَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ، أَوْ كَانَتْهُمَا حِرْقَانِ مِنْ طَيْرِ صَوَافٍ،
تُحَاجَّانِ عَنِ صَاحِبَيْهِمَا» (صحيح مسلم).

٢٣- وعن أبي أمامة الباهلي (رضي الله عنه) قال:
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: « أَقْرَأُوا
الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، أَقْرَأُوا
الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقْرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ كَانَتْهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَانَتْهُمَا غَيَابَتَانِ، أَوْ كَانَتْهُمَا فِرْقَانِ
مِنْ طَيْرِ صَوَافٍ، تُحَاجَّانِ عَنِ أَصْحَابَيْهِمَا، أَقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقْرَةِ،
فَإِنَّهَا أَخَذَهَا بَرَكَهٌ، وَتَرَكَهَا حَسْرَةً، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ» قَالَ
مُعَاوِيَةُ: "بَلَّغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ: السَّحْرَةُ" (صحيح مسلم).

٢٤- وعن أبي الدرداء، أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)
قَالَ: « مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عَصِمَ مِنَ
الدَّجَالِ » (صحيح مسلم).

٢٥- وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): « لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، فَإِنَّ



الشَّيْطَانُ يَفْرُ مِنْ الْبَيْتِ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ» (مسند أحمد).

٢٦- وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَانَ يَسِيرُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسِيرُ مَعَهُ لَيْلًا، فَسَأَلَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَنْ شَيْءٍ فَلَمْ يُجِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: تَكَلَّتْ أُمُّ عُمَرَ، نَزَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، كُلَّ ذَلِكَ لَا يُجِيبُكَ، قَالَ عُمَرُ: فَحَرَّكَتُ بَعِيرِي ثُمَّ تَقَدَّمْتُ أَمَامَ النَّاسِ، وَخَشِيتُ أَنْ يُنْزَلَ فِيَّ قُرْآنٌ، فَمَا نَشِيتُ أَنْ سَمِعْتُ صَارِحًا يَصْرُخُ بِي، فَقُلْتُ: لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ فِيَّ قُرْآنٌ، فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: " لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ لَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَرَأَ: " إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا " (الفتح: ١) (صحيح البخاري). ٢٧- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: " إِنَّ سُورَةَ
فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِصَاحِبِهَا حَتَّى غُفِرَ لَهُ: وَهِيَ
سُورَةُ تَبَارَكَ الَّذِي يَبْدِيهِ الْمَلِكُ " (سنن الترمذي وابن
ماجه).

٢٨- وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) خَطَبَ النَّاسَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَقَالَ: « .. يَا
أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا
أَبَدًا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ " صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " (المستدرک
للحاکم).

٢٩- وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: « أَيْعِزُّكُمْ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ
الْقُرْآنِ؟ » قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: « قُلْ هُوَ اللَّهُ
أَحَدٌ تُعَدِّلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ » (صحيح مسلم).

٣٠- وَعَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي



صَلَاتِهِمْ، فَيَخْتِمُ بِقُلُوبِهِمْ اللهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذُكِرَ ذَلِكَ
لِرَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: «سَأَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ
يَصْنَعُ ذَلِكَ؟» فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، فَأَنَا أُحِبُّ
أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «أَخْبِرُوهُ
أَنَّ اللهُ يُحِبُّهُ» (صحيح مسلم).

قالوا عن القرآن الكريم

١- قال سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : كنا نحفظ
العشر آيات فلا ننتقل إلى ما بعدها حتى نعمل بهن .

وقال (رضي الله عنه) مخاطبًا حفظة القرآن وأهله : يا معشر
القراء: ارفعوا رءوسكم ، فقد وضح لكم الطريق ، فاستبقوا
الخيرات ، لا تكونوا عيالاً على الناس .

٢- وقال سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) : لو طهرت
القلوب لم تشبع من قراءة القرآن .

٣- وقال سيدنا عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه): إن هذه
القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره.

وقال (رضي الله عنه) : إذا أردتم العلم فعليكم بالقرآن ،
فإن فيه علم الأولين والآخرين.

وكان (رضي الله عنه) يقول: ينبغي لقارئ القرآن أن
يعرف بليته إذا الناس نائمون ، وبنهاره إذا الناس مفطرون،



وبكائه إذا الناس يضحكون، وبورعه إذا الناس يخلطون ،
وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون .

٤- وقال سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله
عنهما) : من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جبينه إلا أنه
لا يوحى إليه ، ومن قرأ القرآن فرأى أحداً من خلق الله
أعطي أفضل مما أعطي فقد حقر ما عظم الله ، وعظم ما حقر
الله، وليس ينبغي لحامل القرآن أن يجهل فيمن يجهل، ولا
يحد فيمن يحد ، ولكن يعفو ويصفح .

٥- وقال سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما): جمع
الله في هذا الكتاب علم الأولين والآخرين، وعلم ما كان
وعلم ما يكون، والعلم بالخالق جل جلاله.

٦- وقال سيدنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) : إني
سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : ستكون
فتن، قلت: وما المخرج منها ؟ قال : كِتَابُ اللَّهِ : فِيهِ نَبَأُ مَا

كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ ، وَهُوَ الْفَضْلُ
لَيْسَ بِالْهَزْلِ ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ ابْتَغَى
الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ ، وَهُوَ
الذِّكْرُ الْحَكِيمُ ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ
بِهِ الْأَهْوَاءُ ، وَلَا تَلْتَسِ بِهِ الْأَلْسِنَةُ ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ ، وَلَا
يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهُ
الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا: " إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى
الرُّشْدِ فَاْمَنَّا بِهِ " ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ ، وَمَنْ
حَكَمَ بِهِ عَدَلَ ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .
(رواه الترمذي وغيره).

٧- وقال سيدنا عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) : عليكم
بالقرآن فتعلموه وعلموه أبناءكم ، فإنكم عنه تسألون وبه
تجزون ، وكفى به واعظًا لمن عقل. (مشكل الآثار
للطحاوي).



٨- وقال الفضيل بن عياض (رحمه الله) : حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ، ولا يلغو مع من يلغو ، تعظيمًا لحق القرآن.

٩- وقال الوليد بن المغيرة - بعد أن سمع القرآن الكريم :-
والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ،
وإن أسفله لمغدق ، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه .

١٠- وقال الإمام السيوطي (رحمه الله) : وإن كتابنا القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه علم كل شيء، وأبان فيه كل هدي وغي ، فترى كل ذي فن منه يستمد وعليه يعتمد (الإتقان في علوم القرآن).

١١- وقال الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني (رحمه الله) :
إن القرآن الكريم تقرأه من أوله إلى آخره فإذا هو محكم
السرد ، دقيق السبك ، متين الأسلوب ، قوي الاتصال ، آخذ
بعضه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله ، يجري دم

الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه كأنه سبيكة واحدة ، ولا يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخاذل كأنه حلقة مُفرغة ، وكأنه سمطٌ وحيد وعقد فريد يأخذ بالأبصار ، نُظِّمت حروفه وكلماته ، وُنُسِّت جملة وآياته ، وجاء آخره مساوفاً لأوله وبدء أوله موافياً لآخره. (مناهل العرفان في علوم القرآن).

وقال أيضاً : كتاب فاق الكتب ، وكلام بز سائر ضروب الكلام ، وبلغ في سموه وتفوقه حدود الإعجاز والإفحام ، من ناحية الفصاحة والبلاغة وما يحمل لها من أسرار ، ثم نقل إلينا ذلك كله نقلاً متواتراً قاطعاً لا ظل فيه للشك والنكران.

١٢- وقال أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي : القرآن هو النور المبين ، والحق المستبين ، جبل الله الممدود وعهده المعهود ، وظلّه العميم ، وصراطه المستقيم ، وحجته الكبرى ، ومحجته الوسطى ، هو الضياء الساطع ، والبرهان القاطع ، هو الواضح سبيله ، الراشد دليله ، من استضاء



بمصايحه أبصر ونجا ، ومن أعرض عنها زلّ وهوى. (لباب
الأداب).

١٣- وقال الإمام الشاطبي (رحمه الله) في مقدمة حرز
الأمانى :

وإن كتاب الله أوثق شافع

وأغنى غناء واهبا متفضلا

وخير جليس لا يمل حديثه

وترداده يزداد فيه تجملا

وحيث الفتى يرتاع في ظلماته

من القبر يلقاه سنا متهللا

هنالك يهنيه مقبلا وروضة

ومن أجله في ذروة العز يجتلى

يناشد في إرضائه لحبيبه

وأجدر به سؤلا إليه موصلا

١٤- وقال البوصيري (رحمه الله) في " بردة المديح " :

آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثَةٌ
قَدِيمَةٌ صِفَةُ الْمَوْصُوفِ بِالْقَدَمِ
لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهِيَ تُخْبِرُنَا
عَنِ الْمَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرْمِ
دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجَزَةٍ
مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ
وَمُحْكَمَاتٌ فَمَا تُبْقِينَ مِنْ شُبْهِ
لِذِي شِقَاقٍ وَمَا تَبْغِينَ مِنْ حَكْمِ
مَا حُورِبَتْ قَطُّ إِلَّا عَادَ مِنْ حَرْبِ
أَعْدَى الْأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِي السَّلْمِ
رَدَّتْ بِلَاغَتِهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا
رَدَّ الْعَيُورِ يَدَ الْجَانِي عَنِ الْحُرْمِ
يَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ الْبَحْرِ فِي مَدَدِ
وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالْقِيَمِ



فَمَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُهَا
وَلَا تُسَامُ عَلَى الْإِكْتَارِ بِالسَّامِ
قَرَّتْ بِهَا عَيْنٌ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَهُ
لَقَدْ ظَفَرْتَ بِحَبْلِ اللَّهِ فَاعْتَصِمِ

* * *

نماذج مختارة من الإعجاز البياني في القرآن الكريم (١)

تتميز لغة القرآن الكريم بأن كل لفظة أو مفردة من مفرداتها قد وقعت موقعها ، حيث يقتضي المقام ذكرها دون سواها أو مرادفها ، فإذا جاءت الكلمة معرفة أو نكرة كان لاقتضاء المقام ذلك ، وإذا جاءت مفردة أو جمعاً كان ذلك لغرض يقتضيه السياق ، وقد يؤثر النص القرآني كلمة على أخرى وهما بمعنى واحد ، ويختار كلمة ويهمل مرادفها الذي يشترك معها في أصل الدلالة ، وما كان للمتروك أن يقوم مقام المذكور أو يدانيه بلاغة لو ذكر مكانه ، ومن نماذج ذلك :

١- كلمة " إصلاح " في قوله تعالى : " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ

١- هذه النماذج تم اختيارها من كتابنا "من أسرار البيان القرآني".



يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ" (البقرة : ٢٢٠) .

فلو تأملنا هذه الآية جيداً ، ونظرنا - على وجه
التحديد- في موقع كلمة "إِصْلَاحٌ" ، ثم فكرنا في بدائلها
اللغوية ومشتقاتها وما يرادفها ، وحاولنا أن نضع أي بديل
لغوي - رأسياً أو أفقياً - في موضعها لوجدنا أن العربية على
عمقها واتساعها عاجزة عن أن توافينا أو تمدنا بكلمة يمكن
أن تقوم مقام كلمة "إِصْلَاحٌ" في هذا الموضع .

فالإصلاح أمر جامع لما يحتاج إليه اليتيم ، فقد يحتاج
إلى المال فيكون الإصلاح برّاً وعطاءً مادياً ، وقد يحتاج إلى
من يتاجر له في ماله أو من يقوم على زراعته أو صناعته
فيكون الإصلاح هو القيام بذلك ، وقد لا يحتاج اليتيم إلى
المال ، إنما يحتاج إلى التقويم والتربية ، فيكون الإصلاح

هنا رعاية وتربية ، وقد لا ينقصه هذا ولا ذلك ، إنما تكون حاجته أشد ما تكون إلى العطف والحنو والإحساس بالأبوة ، فيكون الإصلاح إشباع ذلك عنده.

وقد يكون الإصلاح في تقويم زيغه أو اعوجاجه ، فقد جاء أحد الناس يسأل النبي (صلى الله عليه وسلم) : ممّ أضرب يتيمي ؟ فقال (صلى الله عليه وسلم) : " مما كنت ضاربا منه ولدك " ، فالنبي (صلى الله عليه وسلم) يطلب من السائل أن يعامل اليتيم معاملة ولده ، فينظر إلى ما يصلحه ويقوّمه ويشد عضده ، ومن هنا تلتقي البلاغة النبوية في إيجازها ووفائها بالمراد مع النص القرآني، وإن كان الحديث النبوي قد ركز على جانب واحد من جوانب الإصلاح ، وهو التأديب والتقويم ، فإن الإصلاح في النص القرآني هو الكلمة الجامعة لما يحتاج إليه اليتيم وما يصلحه.



٢- كلمة " الخاطئين " في قوله تعالى : " يُوسُفُ أَعْرِضْ
عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ "
(يوسف : ٢٩) .

يقول النحويون : إن جمع المذكر قد يطلق على جمع
المؤنث على سبيل التغليب ، لكن النحويين والأصوليين
يتفقون على أن ما جاء على أصله لا يسأل عن علته ، وما جاء
على خلاف الأصل فلا بد لخروجه على هذا الأصل من علة .
هنا نقطة هامة في العدول عن صيغة جمع المؤنث :
" الخاطئات " إلى صيغة جمع المذكر : " الخاطئين " ، ذلك
أن الأصل في المرأة أن تكون مطلوبة وأن تكون معززة ،
وأن تكون ممنعة ، وأن تكون متأبية ، والمرأة العربية الأصلية
تمتدح بالإباء والتمنع ، والأصل في الرجل أن يكون خاطباً
وطالباً ومتودداً - وفق شرعة الله ومنهجه - ، فلما عكست

امرأة العزيز الفطرة الإنسانية السليمة السوية ، وتقمصت شخصية الرجال - فهي التي طلبت ، وهي التي راودت ، وهي التي هيأت - فلما فعلت ذلك جاء التعبير اللغوي على خلاف الأصل ليناسب حالها المعكوس ، وكأن النص القرآني يلفت أنظارنا إلى أن ما كان من امرأة العزيز هو خلاف ما تقتضيه الفطرة الإنسانية النقية ، فكان التعبير بلفظ الخاطئين هو المعادل اللغوي الأنسب والأدق لما كان من امرأة العزيز .

٣- كلمة " فَاسْتَعْصَمَ " في قوله تعالى: " وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ " (يوسف: ٣٢) .

فكلمة (استعصم) هي المعادل اللغوي الأدق لتصوير عفة يوسف (عليه السلام) ، ووقوفه كالجبل الشامخ الأشم في مواجهة إغراء امرأة العزيز له ، فهو لم يعتصم بحبل الله فحسب ، لكنه استعصم .



وإذا كانت زيادة المبنى زيادة في المعنى فإنه قد قابل
زيادة إغرائها تارة وتهديدها أخرى بمزيد من الاستعصام
بحبل الله المتين .

يقول الزمخشري: إن الاستعصام بناء مبالغة تدل على
الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو مجتهد
في الاستزادة منها ، بل إن يوسف (عليه السلام) قد قابل
تهديدها له بالسجن بدعائه ربه (عز وجل) أن يصرف عنه
كيدهن حتى لو كان ذلك بإلقائه في السجن ، حيث قال -
كما تحدث القرآن الكريم على لسانه - : " رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ
إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ " (يوسف : ٣٣) .

فقد طلب يوسف (عليه السلام) العصمة واستمسك بها
في صلابة ورباطة جأش حتى استجاب له ربه ، وهو ما

يصوره قول الحق سبحانه وتعالى : " فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " (يوسف : ٣٤) .

٤- قوله تعالى على لسان زكريا (عليه السلام) : " قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَمًا " (آل عمران: ٤١) ، وفي الآية العاشرة من سورة مريم : " قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا " .

ذلك أن أيام العرب وشهورهم وسنيهم قمرية ، فالليل في حسابهم يسبق النهار ، ففي التاسع والعشرين من شعبان نترقب هلال رمضان ، فإذا ظهر هلال رمضان كانت أول ليلة من ليالي رمضان ثم يعقبها أول يوم منه ، وهكذا في هلال شوال وسائر الشهور.



وسورة مريم التي جاء فيها ذكر الليالي مكية ، وسورة
(آل عمران) مدنية ، وسورة مريم سابقة في نزولها لسورة آل
عمران ، فجعل السابق للسابق واللاحق للاحق .

٥- قوله تعالى في سورة الأنعام : " وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ
مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ " (الأنعام : ١٥١) .

فقد قدم ضمير المخاطبين في قوله تعالى : "نرزقكم"
على ضمير الغائبين في قوله تعالى: " نرزقهم " ، وفي سورة
الإسراء جاء الترتيب عكس ذلك في قوله تعالى : " وَلَا تَقْتُلُوا
أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ " (الإسراء : ٣١) ،
وكل قد وقع موقعه ، ففي الآية الأولى يقول الحق سبحانه :
" وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ " ، ف" من " هنا لبيان الحال ،
أي لا تقتلوا أولادكم بسبب الفقر الواقع بكم خشية أن
يزيدكم هؤلاء الأولاد فقراً على فقركم ، ولما كان الفقير

مشغولا دائماً بحاله وواقعه ورزق يومه طمأنه الحق (عز وجل) على ذلك بقوله تعالى : " نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ " فبدأ بما يناسب حال المخاطبين ، ثم ثنى بقوله تعالى : " وَإِيَّاهُمْ " ليطمئنهم أيضاً على أبنائهم من بعدهم .

أما في آية سورة الإسراء فيقول سبحانه : " وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ " وأمر منطقي أن الذي يخشى الإملاق وال فقر هو الغني لا الفقير ، يقول الشاعر :

ألم تر أن الفقر يرجي له الغنى

وأن الغني يخشى عليه من الفقر

والغني - غالباً- مشغول بحال أبنائه وتربيتهم وتدبير

أمورهم أكثر من انشغاله بحال نفسه ، فكان الأنسب لحاله أن

يطمئن الحق سبحانه المخاطبين هنا على مايشغلهم وهو

رزق أبنائهم ، فبدأ بقوله سبحانه : " نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ " ثم ثنى



بالحديث عن رزقهم هم بقوله : " وَإِيَّاكُمْ " وكأنه سبحانه
وتعالى يقول لهم : كما رزقناكم فنحن بقدرتنا ومشيتنا نرزق
أبناءكم أيضاً .

وبهاتين الآيتين معاً يقطع النص القرآني الحجة على
الفقير والغني معاً ، ويزيل العلة التي من أجلها قد يقدم هذا
أو ذاك على كبيرة قتل الأولاد من الفقر أو خشية الفقر ، فلا
عذر بعد ذلك لفقير ولا لغني ، لأن الله (عز وجل) هو
المتكفل برزق هذا أو ذاك ؛ بل إنه تكفل برزق كل دابة
يقول سبحانه : " وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا
وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ " (هود : ٦) .

٦- قوله تعالى : " وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ
أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ
وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ " (هود:٤٤) .

سمع أعرابيُّ هذه الآية فقال : أشهد أن هذا كلام رب العالمين لا يشبه كلام المخلوقين ، وإلا فمن ذا الذي ينادي الأرض أن تبلع ماءها فتبلع ؟ وينادي السماء أن تقلع عن إنزال الماء فتقلع ؟ ويأمر الماء أن يغيض فيطبع ويسمع ؟ ويأمر السفينة أن ترسو على مكانها الذي أرادته فتفعل ؟ إنه رب العالمين الذي تسبح له السماوات والأرض ومن فيهن ، ويسجد له الكون كله .

وفي هذه الآية من وجوه البلاغة الكثير ، منها : مراعاة النظير وهو الجمع بين الشي وما يناسبه ، فالأرض يناسبها بلع الماء «يا أرض ابلعي» والسماء يناسبها الإقلاع عن إنزال الماء «ويا سماء أقلعي» والماء يناسبه أن يغيض ، والسفينة يناسبها أن تستوي ، " وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي " ثم جاء التذييل والتتميم بقوله تعالى: « وقيل بعداً للقوم الظالمين » احتراضاً لئلا يتوهم أن



الغرق لعمومه شمل من لا يستحق الهلاك ، كما أن في اختيار لفظ «الظالمين» دون سواه إبرازاً لسبب الهلاك وعلته ، وأنهم أهلكوا بسبب طغيانهم وظلمهم أنفسهم " وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ " (هود: ١١٧) .

٧- قوله تعالى على لسان إبراهيم (عليه السلام): " رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا بَلَدًا آمِنًا " (البقرة : ١٢٦) ، و " رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا " (إبراهيم : ٣٥) .

في الآية الأولى الكلام عن واقع معين حين زار إبراهيم (عليه السلام) المكان قبل أن يصبح بلداً ، فدعا (عليه السلام) لهذا المكان أن يكون بلداً وأن يكون آمناً ، فـ "بلداً" مفعول ثان لـ "اجعل" ، و "آمناً" صفة لـ "بلداً" .

أما في الآية الثانية فقد دعا إبراهيم (عليه السلام) للبلد أن يكون آمناً ، وذلك بعد أن صار بلداً ، فكلمة " البلد"

بالألف واللام بدل من اسم الإشارة ، و " آمناً " هي المفعول الثاني لـ " اجعل " .

ففي سورة البقرة دعا إبراهيم (عليه السلام) للمكان بدعوتين: الأولى: أن يكون بلدًا ، والأخرى: أن يكون آمنًا ، أما في سورة إبراهيم (عليه السلام) فقد دعا للمكان بعد أن صار بلدًا أن يكون آمنًا ، تأكيدًا منه على مطلب الأمن لأهل هذا البلد ، وهو ما استجاب له رب العزة ، فقال سبحانه وتعالى : "... أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ... " (القصص : ٥٧) .

٨- قوله تعالى على لسان إبراهيم (عليه السلام): " فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " (إبراهيم : ٣٦) .



لم يستخدم النص القرآني طباق السلب فلم يقابل "فمن تبغني" بمن لم يتبعني ، واستخدم طباق الإيجاب في قوله : " ومن عصاني " ؛ لأنه لو قال ومن لم يتبعني لشمّل الحكم من بلغته دعوته (عليه السلام) ومن لم تبلغه هذه الدعوة ، أما حين قال : " ومن عصاني " فقد اقتصر الأمر على من بلغته الدعوة وعصى ، وهذا من رحمة الله بعباده ، حيث يقول سبحانه : " وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا " (الإسراء : ١٥) ، غير أنه تبقى مسؤولية كبيرة على الدعاة في البلاغ المبين وتوصيل رسالة خاتم الأنبياء محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى العالمين .

٩- قوله تعالى : " وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا

لَهُ زَوْجُهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا
وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ" (الأنبياء: ٨٩-٩٠) .

في قوله : " فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ " قدم هبة الولد
لزكريا (عليه السلام) على إصلاح زوجه ، على أن النظر في
ترتيب الأسباب والمسببات العادية يقتضي أن يتقدم إصلاح
الزوج على إنجاب الولد ، لكن النص القرآني جاء على
خلاف ذلك ، لأن قدرة الله (عز وجل) ومشيئته لا تحدهما
أسباب ولا مسببات: " إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ " (يس: ٨٢) ، فكأنه (عز وجل) يقول : نحن قادرون
على أن نهب لزكريا أو غيره الولد سواء أصلحنا له الزوج أم
لم نصلحها ، فما هو عجيب مستغرب عندكم إنما هو سهل
يسير في جانب قدرة الله (عز وجل) ، وهو ما أجابت به



الملائكة زوج إبراهيم (عليه السلام) عندما أبدت دهشتها
وتعجبها في مثل هذا الموقف.

وهو ما يصوره القرآن الكريم في قوله تعالى : "وَأَمْرَأْتُهُ
قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ
* قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا
لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ
وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ" (هود: ٧١ -
٧٣).

إضافة إلى أن تقديم الهبة على الإصلاح تقديم للبشرى ،
وهي الأهم في مثل هذا الموقف ، إذ تأتي البشرى أولاً
للمتلهف لها ، ثم يأتي بعد ذلك تفصيل الكلام أو ذكر
الأسباب وبيان الحال ، وقد أمرنا ديننا الحنيف بالبشرى ،
وإدخال السرور على النفس البشرية ، يقول نبينا (صلى الله

عليه وسلم) : "يسرّوا ولا تعسّروا، وبشّروا ولا تنفّروا" (متفق عليه).

وفي قوله: "إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ" (الأنبياء : ٩٠) بيان وتعليل لسرعة استجابة الدعاء ، ولما ينبغي أن يكون عليه حال من يرجو إجابة دعائه من حسن الصلة بالله (عز وجل) والمسارة في الخيرات ، والدعاء سرّاً وعلناً ، رغباً ورهباً ، في قنوت وخشوع وتضرع واستكانة لله رب العالمين ، فزكريا وآله لم يكونوا يفعلون الخيرات فحسب ، إنما كانوا يسارعون فيها مع ملازمتهم الدعاء سرّاً وعلانية رغباً ورهباً ، وكانوا لله الأُحد خاشعين .





فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١	مقدمة.	٢
٢	سور القرآن الكريم : أسماء ودلالات.	٦
٣	حديث القرآن عن محمد (صلى الله عليه وسلم).	٢١
٤	أهل القرآن .	٢٩
٥	ثلاثون حديثًا مختارة في فضائل القرآن الكريم.	٣٦
٦	قالوا عن القرآن الكريم.	٤٩
٧	نماذج مختارة من الإعجاز البياني في القرآن الكريم.	٥٧
٨	فهرس الموضوعات.	٧٤